رواية ابن الشعب

(التي مثلها جوق الشيخ سلامه في هذا العام)

بقلم صاحب الجامعة

(في كيف يتسلط النبلاء على الشعب ويستولون عليه)

تركنا في الجزء الثالث جاني مغمى عليها بعد مقابلتها لريشار . اما ريشار فسار الى قصر الوزراء وكان الوزراء مجتمعين في جلسة خصوصية ورئيس الوزارة يذكر لهم ان ريشار رضي بمقابلته وان الصلح سيتم قريباً بينه وبين الوزارة اذ يترك معارضتها . فسأله احد الوزراء وان ابى السر ريشار ذلك فاجاب رئيس الوزارة . يبقى عليه مقابلة ذات خطر وخلوة لا يخرج منها الا راضخاً .

وما اتم الوزير كلامه حتى اعلن الحاجب قدوم ريشار . فدهش الوزراء لانهم لم يتفقوا معه على الحضور الى نفس المجلس . ثم دخل ريشار فقال

سلام يا اصحاب الدولة

وزير المالية — اهلاً وسهلاً بالسر ريشار

ريشار — ترحب بي من قلبك ام من شفتيك

وزير المالية — كيف لا اقول ذلك من قلبي فانك جئت في حينك

ريشار — اذاً كنتم تنتظرونني

وزير المالية — ما كنا ننتظر ولكن كنا نؤمل

ريشار — ولكن اتعلم يا سيدي ان هذا الامل لا ينطبق على عظمتكم وعلى حقارتي

وزير المالية — وكيف ذلك

ريشار — ذلك اني اعهدكم ممن يزعمون سيادة النبلاء على الشعب . فانتم اعاظم الرجال الذين يحرسون عرش المملكة . واما انا فلست الا نائباً حقيراً من نواب الشعب فكيف تؤملون فيّ

وزير المالية — ولكن الشعب يا سيدي صار مساوياً للنبلاء والملكية منذ اصبح يحب الفريقين ويخدمها كما يخدمانه

ريشار — كلا يا سيدي وانما حقوق الشعب اشد رسوخاً واكثر قدماً مما تظن فانها تنتهي الى كرومويل الذي جعل شعاره « تاجاً من طين ، بازاء ، فأس حديدية كبرى وسندان من خشب ، التاج رمزٌ الى الملكية والفأس والسندان رمز الى قوة الشعب

وزير الداخلية — هل هذا تهديد ايها السر ريشار

ريشار — كلا يا سيدي ولكنه تاريخ .

الوزير الاول — حسن ما قلته عن الشعب والملكية يا سر ريشار . ولذلك انشأوا بينهما طبقة النبلاء لتكون حاجزاً بينهما . فاننا نحن ترس يقي الشعب كبرياء الملكية . والملكية الحاح الشعب ومطامعه . وفي ايدينا ايدي الفريقين فيجب ان نضمها معاً رغبة في الاتحاد والمسالمة

ريشار — الشعب يا سيدي لا يسالم ولا يعقد اتفاقاً في هذا الزمان ولكنه يأمر امراً

الوزير الاول — ولكن ما هكذا وعدنا يا سر ريشار

ريشار — وُعدتم ومن هو الوقح الذي وعدكم عن لساني

الوزير الاول — ان لم يكونوا قد وعدونا فانهم جعلونا نؤمل . .

ريشار — جعلوكم تؤملون انني اخون حزبي ؟

الوزير الاول — كلا ولكننا ظننا . . . .

ريشار — ماذا ظننتم . أظننتم انني ارتشي . اهذا هو السبب الذي جعلك يا حضرة الوزير تطلب مقابلتي في هذا المساء مقابلة سرية

الوزير الاول — ولكن هذا كلام . . . .

ريشار — هذا الكلام القيه في وسط المجلس بلا خوف ولا وجل . لقد جئتم اليّ تعرضون عليّ هدايا الملك ونعمه فانا الآن ادفع بقدمي هداياكم ونعمكم . افهمتم ؟ .

الوزير الاول لرفاقه — لم تبقَ لدينا الا الوسيلة الاخيرة

ريشار متمماً حديثه — فماذا تقولون غداً اذا وقفت في منبر مجلس العموم وصرخت منه في وجه الامة كلها انكم تطلبون رشوتي . ماذا تقولون ؟

الوزير الاول — واي برهان لديك علينا . اليس في وسعنا الانكار

ريشار — كل من ينكر منكم اصفعه بهذه الكلمة : انت كاذب

الوزير الاول بغضب — فاذاً لاقنا غداً في مجلس العموم يا سيدي . نحن نريد السلم وانت تريد الحرب . فليكن ما تريد

ريشار ــ نعم وغداً نلتقي

والمرسح في هذا الفصل قسمان . قسم منه قاعة الوزراء التي عقدوا فيها جلستهم والقسم الثاني غرفة الملك والملك فيها يتنصت ويسمع كلام ريشار والوزراء . فلما اشتد النزاع دخل على الوزراء حارس واسرّ كلمتين الى الوزير الاول . فقال الوزير لريشار : سر ريشار تفضل وانتظر قليلاً في هذه القاعة لشأن خصوصي . ثم خرج الوزراء فاخذ ريشار يقول مفكرًا

ولكن ما عساهم ان يريدوا ... وايـة حاجة لهم وامرِ
فهل راموا خداعًا واحتيالاً ... لا يذائي الذي طلبوا وضري
ولكن لا اخـاف ولا ابالي ... بكيد من جموعهم ومكرِ
فان الشعب اجمعه ورائي ... يقوّي ساعدي ويشد ازري
وهذا قـادم اخذته عيني ... فمن هو في الصحابة ليت شعري

وكان القادم هو الملك نفسه وقد ستر رأسه بقبعة كبرى وغير زيه ثم دخل من الباب الفاصل بين الغرفتين . وهذه هي الخلوة التي قال عنها رئيس الوزراء (ان ريشار لا يخرج منها الا راضيًا) فافتتح الملك كلامه بقوله :

الرجل المجهول — انك تعجب من رؤيتي لانك لا تعرفني ايها السيد . اما انا فاعرفك . فانت سكرتير هذا المجلس

فيحاول ريشار الانكار فيتمم الرجل كلامه

الرجل المجهول — دع الانكار فانني « اريد » ان تكون سكريترًا لمجلس الوزراء

ويظهر ان ريشار فهم مراد الرجل بالحال وعلم حقيقته فابتدأ الانحلال في عزيمته . فقال ــ انا كما تقول يا « ميلورد »

الرجل المجهول ــ حسن . قد فهمت كلامي . تفضل الآن يا حضرة السكرتير واجلس الى هذه المائدة واكرم بفحص هذه الاوراق

ثم ان الرجل دفع اربع اوراق الى ريشار واحدة بيضاء لا كتابة عليها وثلاث مكتوبة . الاولى امر ملكي بمنح لقب مقاطعة كرلستن وما يتبعها في اقليم ديفونشير الى . . . » وهنا مكان الاسم بياض « والثانية « امر ملكي بمنح لقب كونت على وجه الارث الى . . . » وهنا مكان الاسم فارغ ايضًا « والثالثة صورة صك الزواج المعقود بين المس ويلمور ابنة اللورد ويلمور وحفيدة المركيز سيلفا وريشار درلنتن الذي اصبح يسمى الكونت دي كرلستن .

وشروط الزواج هي اولاً ان مس ويلمور تمنح زوجها الجديد مائة الف جنيه دخلاً سنوياً. ثانياً ان المركيز سيلفا اوصى لحفيدته مس ويلمور بكل ثروته فهي وارثته الوحيدة . ثالثاً ان لقب لورد الذي كان لأبي مس ويلمور يعطي لزوجها ولاولادها بحق الارث .

ولما فرغ ريشار من تلاوة هذه الاوراق قال له الرجل المجهول ان يملأ مكان الاسم فيها باسم (ريشار درلنتن) ففعل ريشار مذهولاً مدهوشاً . فقال له الرجل المجهول

ـ لا ريب انك رجل قوي لانك تصرّ الى هذا الحد . ولا شبهة في انك ستكون رجلاً نافعاً للملك والمملكة. وانت تعلم ان الوزارة قد فقدت شهرتها ولذلك فانها ستسقط . ومتى سقطت فان الملك يؤلفها من العنصر الديموقراطي . بل قد سمعته يقول منذ حين انه سيختارها من اصغر اللوردات سناً ليكونوا اكثر نشاطاً . وانت صغير السن ولورد بحسب هذه الاوراق . أفلا تظن ان الانسان يخدم وطنه وهو في مقاعد الوزراء خدمة انفع من خدمته له وهو في مقاعد النواب

ريشار مذهول ـ اخلاص لا حد له . ونعم لا عدد لها

الرجل المجهول ـ بقيت لديك ورقة

ريشار ـ نعم ولكنها بيضاء لا كتابة عليها

الرجل المجهول ـ الا تفهم المراد بذلك

ريشار ـ فهمت فهمت . وهذا توقيعي عليها ارهنه لديك دلالة على الاتفاق بيننا

الرجل المجهول ـ اما انا فانني عائد الى الملك لاخبره اننا تعارفنا وتصادقنا

ثم خرج الملك وبقي ريشار وحده في غاية الذهول ثم انشأ يقول

الآن قد نلتُ المنى بل فوق ما ... قد كنتُ آمله من الايام

نلت الوزارة في نهار واحدٍ ... فانا عميد الملك في الاقوام

(ثم يشير الى كرسي رئاسة الوزراء)

والامر امري ثم هذا مجلسي ... اقضي على قومي به احكامي

تمتد من هذا المكان ارادتي ... في الارض من دانٍ ومن مترامِ

وتسير في الاقطار نافذة بما ... ابغيه من نقضٍ ومن ابرامِ

من ذا يحاكيني ويملك سلطتي ... بل من يباريني رتبتي ويسامي

ليس المليك اليوم الا آلةً ... والفعل للوزراء والحكام

يا خير مملكةٍ يعظم قدرها ... بين الممالك ايما اعظامِ

اني انا مولاكِ فاحني رأسك الـ عالي لديَّ وطأطئيه امامي
ماذا ارى من ذا الذي هو قادم نحوي ... تعال تعال انت مرامي

(هنا يدخل طمسن سكرتيره)

ريشار ـ أعرفت ماذا قد جرى لي ...

طمسن ـ نعم جاءت امرأتك

ريشار ـ اي امراة ؟

طمسن ـ جاني . انسيتها ؟

ريشار بغضب شديد ـ ويل لها من غضبي وانتقامي

ثم خرج قاصداً مقابلتها لطردها والتفرغ منها

فيا ايتها الافعى التي خدعتِ آدم وكنتِ سبباً في سقوطه . يا افعى الاثرة واللذة والسيادة والطمع التي دعا اليها الفيلسوف نيتشش كما يُدعى الى الاهة قادرة مقدّسة . انك لا تزالين تستغوين اعاظم الناس حتى هذا الزمان (ستاءُ في البقية)

مشاهدات في اميركا

درس في المدنية الاميركية

مبني على المشاهدة العيانية

١

سقياً لك ايها العمل

حين وطأت قدمي ارض اميركا الشمالية وجدت فيها عدة كتب من مصر والشام واميركا الجنوبية وغيرها يذكر فيها اصحابها أسفهم لانتقال الجامعة من مصر مقرونًا بالمسرة لذلك الانتقال لان الجامعة ستتمكن به من درس اعظم مدنية في العالم ونشر آثارها عبرة وعظة للامم الشرقية . فاجبتُ مراسليَّ الافاضل ان اميركا قد اكتُشفت منذ زمن بعيد وما جئتُ لاكتشافها . ولكني مع جوابي هذا الجواب كنتُ اشعر بانني ما اجبت به الا على سبيل الاتضاع الكاذب الذي يعمد اليه الانسان حين ارادة تكبير الثناء الموجه اليه